الأصل الرابع من الأصول العشرين

فى حماية التوحيد ورعاية السنن والأسباب
وبيان موقف الإسلام من التمائم والرُّقى والكهانة

« والتمائم والرُّقى ، والودع والرمل ، والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب : منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة » .

حسن البنا

* * *

الأصل الرابع من الأصول العشرين

يقول الإمام حسن البنا رضى الله عنه : « والتمائم والرُّقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب : منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة » .

يقوم هذا الأصل على قاعدتين فى غاية الأهمية :

الأولى : هى تجريد التوحيد لله تبارك وتعالى ، بحيث يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً : أن لا دافع ولا مانع غير الله ، ولا ضار ولا نافع غير الله ، وأن الأمور كلها بيديه سبحانه ، وأن مَن عداه ، وما عداه لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ ، وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾ (١) ، ﴿ **قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ، قُلْ حَسْبِىَ اللهُ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ (٢) .

فلا يجوز الاعتماد على أحد غير الله تعالى ، ولا على أسباب لم يشرعها الله تعالى .

والقاعدة الثانية : هى رعاية سنن الله تعالى فى الخلق والحياة والإنسان ، واحترام نظام الأسباب والمسببات الذى أقام الله عليه هذا الكون .

---

(١) الأنعام : ١٧ - ١٨ (٢) الزمر : ٣٨

وقد أشاع جو الشرك والوثنية قديماً وحديثاً أباطيل وخرافات اعتقادية وعملية ، أحدثت خللاً فى مراعاة نظام السنن والأسباب .

من هذه الأباطيل :

١ - تعليق التمائم .

٢ - الرُّقى الشِرْكية .

٣ - ادعاء معرفة الغيب عن طريق المعرفة والكهانة والودع والرمل والتنجيم ونحوها .

وهذه كلها ، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته ، كما قال الأستاذ البنا رحمه الله ، ولم يستثن من ذلك إلا ما كان « آية من قرآن أو رقية مأثورة » .

وسنتحدث عن هذه الأمور الثلاثة وأحكامها بالتفصيل فى المباحث التالية ، مستمدين العون والتوفيق من الله تعالى .

* * *

(١)

التمـــائم وأحكامها

التمائم وأحكامها

معنى التمائم :

قال الحافظ المنذرى : التميمة : خرزة كانوا يُعلِّقونها ، يرون أنها تدفع عنهم الآفات . وهذا جهل وضلالة ، إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى .

وقال العلامة ابن الأثير فى النهاية : التمائم جمع تميمية ، وهى خرزات كانت العرب تُعلِّقها على أولادهم ، يتَّقون بها العين فى زعمهم فأبطلها الإسلام .

ومثلها الودَع ، وهو شيء يخرج من البحر ، يشبه الصدف ، يتَّقون به العين أيضاً .

ومثلها ما يُعلَّق من خيوط أو من أوراق تُكتب فيها بعض العبارات من غير ذكر الله تعالى ، أو توضع فيها بعض الأشياء مما يشتمل عليه ما يسمى بـ « الأحجبة » التى يصنعها الجهلة والدجَّالون لمن يقدسونهم .

ومن ذلك أيضاً : ما يُعلَّق على أبواب المنازل أو فى مقدمة السيارات ونحوها من وضع حدوة فرس ، أو ما كان على صورتها ، أو حذاء صغير ، أو كف مرسوم أو غير ذلك ، مما يزعمون أنه وقاية من العَيْن ، أو من أذى الجن أو الإنس ، ونحو ذلك ، فكله منكر أبطله الإسلام .

التمائم من الشرك :

وقد جاءت الأحاديث عن النبى ﷺ مُحذِّرة من تلك الأعمال ، ومعتبرة إياها من الشرك ، والمراد به الشرك الأصغر ، وهو عظيم .

روى الإمام أحمد فى مسنده عن عقبة بن عامر الجهنى : أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط ، فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله ؛

بايعتَ تسعة ، وتركتَ هذا ؟ قال : « إن عليه تميمة » ! ، فأدخل يده فقطعها ، فبايعه ، وقال : « مَن علَّق تميمة فقد أشرك » (١) .

وعن عقبة بن عامر أيضاً أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن علَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومَن علَّق ودعة فلا ودع الله له » (٢) .

ومعنى : « لا أتم الله له » : دعاء عليه ألا يتمم الله له ما يريد ، ومعنى : « لا ودع الله له » : أى لا جعله فى دعة وسكون . وقيل : هو لفظ معنى من الودعة ، أى لا خفف الله عنه ما يخافه .

وعن عمران بن حصين : أن النبى ﷺ رأى فى يد رجل حلقة ، فقال : « ما هذا » ؟ قال : اتخذتها من الواهنة ، قال : « ما تزيدك إلا وهناً ، انبذها عنك ، فإنك إن متّ وهى عليك ، وُكِلْتَ إليها » (٣) .

وفى رواية الإمام أحمد : « فإنك لو مت وهى عليك ما أفلحتَ أبداً » .

ورواه عبد الرزاق فى مصنفه عن عمران موقوفاً عليه : أنه نظر إلى رجل فى يده فتخ من صُفْر ، (الفتخ : الخواتيم الكبار ، والصُفْر : النحاس) فقال :

---

(١) رواه أحمد فى مسنده : ١٢٦/٤ ، والطبرانى : ٨٨٥/١٧ ، والحاكم : ٢١٩/٤ ، وقال المنذري فى الترغيب (٣٠٧/٤) ، والهيثمى فى المجمع (١٠٣/٥) : ورواة أحمد ثقات . وذكره الألبانى فى أحاديثه الصحيحة (٤٩٢) .

(٢) رواه أحمد : ١٥٤/٤ ، وأبو يعلى (١٧٥٩) ، والطبرانى : ١٢٠/١٧ ، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان : ٦٠٨٦) ، والحاكم : ٢١٦/٤ ، وصحح إسناده ووافقه الذهبى ، والبيهقى : ٣٥٠/٩ ، وجوَّد إسناده المنذرى فى الترغيب والترهيب ، وقال الهيثمى بعد أن نسبه فى المجمع إلى أحمد وأبى يعلى والطبرانى (١٠٢/٥) : ورجالهم ثقات .

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه (٦٠٨٦) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن ، ورواه أحمد : ٤٤٥/٤ ، وابن ماجه فى الطب (٣٥٣١) ، وقال البوصيرى فى الزوائد : هذا إسناد حسن ، مبارك مختلف فيه .

« ما هذا فى يدك » ؟ قال : صنعته من الواهنة ! فقال عمران : « فإنه لا يزيدك إلا وهناً » ! [1] .

والواهنة - كما يقول ابن الأثير فى النهاية - عِرْق يأخذ فى المنكب أو فى اليد كلها ، فيرقى منها .

وقيل : هو مرض يأخذ فى العضد ، وربما عُلِّق عليها جنس من الخرز ، يقال لها : خرز الواهنة : وهى تأخذ الرجال دون النساء ، وإنما نهاه عنها ، لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم ، فكان عنده فى معنى التمائم المنهى عنها .

وإنما قال له : « لا تزيد إلا وهناً » لأن المشرك يُعامَل بنقيض قصده ، فإنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [2] .

وفى الصحيحين عن أبى بشير الأنصارى : أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً : « أنْ لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر - أو قلادة - إلا قُطعت » [3] .

شك الراوى ، هل قال شيخه : « قلادة من وتر » ، أو قال : « قلادة » وأطلق ولم يقيد ؟

ويؤيد الأول ما روى عن مالك : أنه سئل عن القلادة ، فقال : ما سمعتُ بكراهتها إلا فى الوتر .

ويؤيد الآخر : رواية أبى داود : « ولا قلادة » بغير شك .

واختلفوا فى المراد بالنهى هنا .

---

(١) المصنف : الأثر (٢٠٣٤٤) . (٢) يونس : ١٠٦

(٣) متفق عليه ، انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، حديث (١٣٧١) .

ونقل الحافظ فى الفتح عن الإمام ابن الجوزى ثلاثة أقوال فى المعنى المراد :

أحدها : أنهم كانوا يُقلدون الإبل أوتار القسى ، لئلا تصيبها العين بزعمهم ، فأُمِروا بقطعها ، إعلاماً بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً . وهذا قول مالك . قال الحافظ : ويؤيده حديث عقبة بن عامر مرفوعاً : « مَن علَّق تميمة فلا أتمَّ الله له » .

ثانيها : النهى عن ذلك ، لئلا تختنق الدابة عند شدة الركض ، ورجحه أبو عبيد ، إذ قال : نهى عن ذلك ، لأن الدواب تتأذى بذلك ، ويضيق عليها نفسها ورعيها ، وربما تعلقت بشجرة فاختنقت أو تعوقت عن السير .

وثالثها : أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس ، حكاه الخطابى ، وعليه يدل تبويب البخارى (١) .

وكان الصحابة رضى الله عنهم حذرين أشد الحذر من الشرك كله ، أكبره وأصغره ، جليه وخفيه ، أن يتسرب إلى أنفسهم أو إلى أحد من أهليهم أو من حولهم ، فإذا رأوا شيئاً من ذلك أنكروه ، أداءً للواجب ، وتبرئة للذمة ، وإبلاغاً للدعوة ، وكذلك تلاميذهم من التابعين .

روى الإمام أحمد فى مسند عبد الله بن مسعود عن ابن أخى زينب عن زينب امرأة عبد الله قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق ، كراهية أن يهجم منا على شىء يكرهه ، قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح ، قالت : وعندى عجوز ترْقينى من الحُمرة ، فأدخلتها تحت السرير ، فدخل فجلس إلى جنبى ، فرأى فى عنقى خيطاً ! قال : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت : خيط رُقِى لى فيه ! قالت : فأخذه فقطعه ، ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك » ، قالت : فقلت له : لِمَ تقول هذا ، وقد كانت

---

(١) انظر فتح البارى : ٦/ ٤٢ ، طبعة السلَفية ، شرح حديث (٣٠٠٥) .

عينى تقذف ، فكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها ، وكان إذا رقاها سكنت ؟ قال : إنما ذلك عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كفَّ عنها ، إنما كان يكفيكِ أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ : « أذهب البأس رب الناس ، اشف أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقَماً » (١) .

أما الرقى فسيأتى الحديث عنها مفصلاً ، وأما التِّوَلة - بكسر التاء وفتح الواو - فهى كما قاله ابن الأثير : ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره ، جعله شركاً لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدَّره الله تعالى .

(السقم - بفتحتين ، وبضم السين مع سكون القاف : المرض) .

وروى ابن أبى حاتم عن عروة : أن حذيفة بن اليمان ، دخل على مريض ، فرأى فى عضده سيراً ، فقطعه - أو انتزعه - ثم قال : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلا وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾ (٢) .

وروى وكيع فى جامعه عن سعيد بن جبير : مَن قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة !

---

(١) قال الشيخ شاكر فى تخريجه برقم (٣٦١٥) : إسناده حسن ، ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود : لم يُعرف اسمه ، ولكنه تابعى ، فهو على الستر وقبول حديثه . زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود : صحابية معروفة . والحديث رواه أبو داود فى الطب (٣٨٨٣) من طريق أبى معاوية عن الأعمش ، واختصر القصة التى فى أوله . قال المنذرى : « أخرجه ابن ماجه عن ابن أخت زينب عنها ، وفى نسخة : عن أخت زينب عنها ، وفيه قصة ، والراوى عن زينب مجهول » ، وهو فى ابن ماجه (٣٥٣٠) مطولاً من طريق عبد الله بن بشر عن الأعمش ، وقال الحافظ فى التقريب عن ابن أخى زينب : كأنه صحابى ، ولم أره مسمى . والحديث رواه الحاكم من طريق عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن زينب ، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى : ٤/٤١٧ ، ٤١٨ ، وله عنده طريقان آخران يتقوى بهما : ٤/٤٧ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ورواه ابن حبان فى صحيحه (الإحسان : ٦٠٩٠) إلا أن فيه انقطاعاً . (٢) يوسف : ١٠٦

كراهة التمائم ولو كانت من القرآن :

وعن إبراهيم النخعى قال : كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن (١) .

وإبراهيم النخعى إمام من كبار فقهاء التابعين مات سنة ستة وتسعين (٩٦ هـ) .

وقوله : « كانوا » يقصد أصحاب ابن مسعود من مدرسة الكوفة العلمية الشهيرة ، أمثال علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وأبى وائل ، والحارث ابن سويد ، وعبيدة السلمانى ، والربيع بن خثيم ، وغيرهم . وكلهم من سادات التابعين ، وهذه الصيغة : « كانوا » يستعملها إبراهيم فى حكاية أقوالهم وأحوالهم .

وهذا هو موقف ابن مسعود وأصحابه : كراهية التمائم كلها ، من القرآن ومن غيره .

من يرى جواز التمائم إذا كانت من القرآن :

وهناك مَن يرى جواز التمائم إذا كانت من القرآن ، وما فيه ذكر الله تعالى .

فقد ورد أن عبد الله بن عمرو لم يكن يمانع فى ذلك .

فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (عبد الله بن عمرو) قال : كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : « بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » ، قال : فكان عبد الله يعلمهن من بَلغ من ولده ، أن يقولها عند نومه ، ومَن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها ، كتبها له ، فعلَّقها فى عنقه (٢) .

قال فى « فتح المجيد » : وهو ظاهر ما روى عن عائشة ، وبه قال أبو جعفر

---

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - بتحقيق محمد حامد الفقى - الطبعة السابعة - مطبعة السُّنَّة المحمدية - القاهرة.

(٢) رواه أحمد فى مسند عبد الله بن عمرو . الحديث (٦٦٩٦) ، وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، ورواه أبو داود فى الطب (٣٨٩٣) ، والترمذى فى الدعوات (٣٥١٩) ، وقال : حسن غريب ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً .

الباقر ، وأحمد فى رواية . وحملوا الحديث (الناهى عن التمائم) على التمائم التى فيها شرك [1] .

وقال الحافظ ابن حجر فى حديث : « لا تبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر » بعد شرحه : هذا كله فى تعليق التمائم وغيرها مما ليس فيه قرآن ونحوه . فأما ما فيه ذكر الله فلا نهى فيه ، فإنه إنما يُجعل للتبرك به ، والتعوذ بأسمائه وذكره [2] .

موقف المسلم فى هذه القضية :

وإذا اختلف السَلَف فى مثل هذه القضية ، فللمسلم أن يأخذ ما يطمئن إليه قلبه من أحد الرأيين ، وإن كنت أرجح ما رآه أصحاب ابن مسعود من كراهية التمائم كلها .

وهذا الترجيح مرده إلى جملة أُمور :

أولها : عموم النهى عن التمائم ، حيث لم تُفرِّق النصوص بين بعضها وبعض ، ولم يوجد مخصص .

وثانيها : سد الذريعة ، حتى لا يُفضى إلى تعليق ما ليس كذلك .

وثالثها : أنه إذا علَّق ذلك ، فإنه لا بد أن يمتهنه ، بحمله فى حال قضاء الحاجة ، والجنابة ونحوها [3] .

ورابعها : أن القرآن إنما أُنزِل ليكون هداية ومنهاجاً للحياة ، لا ليُتخذ تمائم وحُجُباً ، وما إلى ذلك .

ومع هذا لا ينبغى أن يشتد المسلم فى إنكار التمائم إذا كانت من القرآن وذكر الله ، أو يغيرها بيده ، فإنه من المقرر : أن لا إنكار فى المسائل الاجتهادية الخلافية ، ولا سيما أن ابن مسعود وأصحابه كانوا - كما روى

---

(١) فتح المجيد ص ١٢٧ (٢) فتح البارى : ٦/ ١٤٢

(٣) انظر : فتح المجيد ص ١٢٧ ، ١٢٨

إبراهيم - يكرهون التمائم كلها ، فهم يكرهونها فقط . وإن كان من حق المسلم المقتنع برأى أن يقيم الدليل على صحة ما ذهب إليه ، وبيان خطأ الرأى الآخر ، برفق وحكمة ، دون طعن أو تجريح للآخرين ، ودون عنف مصاحب للبيان .

وهذا ما جعل الإمام البنا يقول فى أصله هذا : « وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة » .

والإمام محمد بن عبد الوهاب فى كتابه الشهير « التوحيد » يقول تعليقاً على حديث « الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك » : التمائم شىء يُعلَّق على الأولاد من العين ، لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخَّص فيه بعض السَلَف ، وبعضهم لم يُرخِّص فيه ، ويجعله من المنهى عنه ، منهم : ابن مسعود رضى الله عنه [1] .

* * *

(١) فتح المجيد ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢)
الرُّقى وأحـــكامها

الرُّقى وأحكامها

الرُّقى : جمع رُقية ، وهى : العوذة التى يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع ولدغ الحيات والعقارب ونحوها ، كما يرقى بها من « العَيْن » . يقول عروة :

فما تركا من عوذة يعرفانها ولا رقية إلا بها رقيانـــى !

وفى القرآن الكريم : ﴿ كَلا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِى * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ (١) أى لا راقى يرقيه - إذا بلغت روحه الترقوة والحلقوم - فيحميه ، فالاستفهام إنكارى .

وكانت الرقى معروفة عند العرب فى الجاهلية ، ولكنها كانت كثيراً ما تشتمل على شركيات مثل الاستعاذة بالجن والشياطين ، وسؤال غير الله ، وما لا يُفهم معناه من الكلام .

ومن هنا حذَّر النبى ﷺ من هذا النوع من الرُّقى ، وهى التى اعتبرها شركاً ، كما فى حديث ابن مسعود المتقدم : « إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّوَلة شرك » .

كما أنه شرع الرقى إذا كانت بكلام الله تعالى ، أو بذكره سبحانه ، وذكر أسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، والتوسل إلى الله فى منع الضر ، ورفع الأذى ، وشفاء المرضى ، ونحو ذلك .

وقد رقى جبريل رسول الله ﷺ ، ورقى عليه الصلاة والسلام نفسه ، ورقى غيره ، وأذن للصحابة بالرُّقية ، ما لم يكن فيها شرك . كما سنبين ذلك .

---

(١) القيامة : ٢٦ - ٢٧

قال الإمام الخطابى : وكان عليه الصلاة والسلام قد رَقَى ورُقِى ، وأمر بها وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله ، فهى مباحة ومأمور بها ، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منه بغير لسان العرب ، فإنه ربما كان كفراً ، أو قولاً يدخله الشرك (١) .

ومن ذلك : ما كان على مذاهب الجاهلية التى يتعاطونها ، وأنها تدفع عنهم الآفات بغير إذن الله تعالى وتقديره ، ويعتقدون أن ذلك من قِبَل الجن ومعونتهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد سُئِل عمن يقول : يا أزران ، يا كيان ، فقال : هذه الألفاظ لا معنى لها فى كلام العرب ، وكل اسم مجهول ، فليس لأحد أن يرقى به ، فضلاً عن أن يدعو به ، ولو عرف معناه ، وأنه صحيح لكره أن يدعو الله بغير العربية (٢) .

وإنما يرخَّص لمن لا يُحسن العربية : فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعاراً فليس من دين الإسلام (٣) .

وفى موضع آخر قال : إن المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرُّقى ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم . وعامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرُّقى التى لا تُفقه بالعربية ، فيها ما هو شرك بالجن ، ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يُفقه معناها ، لأنها مظنة الشرك ، وإن لم يعرف الراقى إنها شرك (٤) .

وفى قاعدة التوسل والوسيلة قال : وكذلك الرُّقى والعزائم الأعجمية هى تتضمن أسماء رجال من الجن يُدعون ويُستغاث بهم ، ويُقسم عليهم بمن

---

(١) فتح المجيد ص ١٢٦

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٢٤/ ٢٨٤ (٢) فتح المجيد ص ١٢٦

(٤) مجموع الفتاوى : ١٩/ ١٣ ، وانظر أيضاً ص ٦١ منه .

يعظمونه ، فتطيعهم الشياطين بسبب ذلك فى بعض الأُمور ، وهذا من جنس السحر والشرك [١] .

ومن هنا قال الحافظ ابن حجر : أجمع العلماء على جواز الرُّقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

١ - أن تكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته .

٢ - وأن تكون باللسان العربى ، أو بما يُعرف معناه من غيره ، ويُرخَّص لغير العربى بالترجمة إلى لسانه .

٣ - وأن يعتقد أن الرُّقية لا تؤثر بذاتها ، بل بتقدير الله تعالى [٢] .

* *

● الرُّقية كالدواء من قدر الله تعالى :

والرُّقية لا تنافى القَدَر ولا تدفعه ، بل هى من قَدَر الله تعالى ، فإنَّ الله عَزَّ وجَلَّ كما قدَّر المسببات قدَّر الأسباب ، وكما قدَّر النتائج قدَّر المقدمات ، فهو يُقدِّر أن هذا المريض يُشفى بتناوله للدواء الملائم ، وهذا يُشفى برقية رجل صالح ، وذلك بأسباب يتخذها ، فهذا كله من قَدَر الله تعالى .

والمؤمن الفقيه فى دينه هو الذى يدفع الأقدار بعضها ببعض ، كما أمر الله تعالى وشرع ، فهو يدفع قَدَر الجوع بتناول الغذاء ، وقَدَر العطش بشرب الماء ، وقَدَر الداء بتعاطى الدواء .

وفى هذا جاء الحديث الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى خزامة قال : سألت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ؛ أرأيت رُقىً نسترقيها ،

---

(١) التوسل والوسيلة ص ١٥٦ ، طبع المكتب الإسلامى ببيروت .

(٢) انظر : فتح البارى : ١٠/ ١٩٥

ودواء نتداوى به ، وتُقاة نتقيها : هل ترد من قَدَر الله شيئاً ؟ قال : « هى من قدر الله » [1] وبهذا ندفع قدر الله بقدر الله .

* *

● الرُّقية والطب الجسمانى :

والرُّقية فى حقيقتها : دعاء والتجاء إلى الله تعالى رب الناس ، ومُذهب البأس ، أن يكشف الضُرَّ ، ويشفى السقيم ، فهى لون من الطب المعنوى أو الطب الروحى أو الإلهى .

والإسلام لا يمنع من استخدام الأدوية المعنوية والإلهية بجوار الأدوية الطبيعية ، وقد يُكتفى فى بعض الأحيان بإحداهما دون الأخرى .

وقد نقل الحافظ فى « الفتح » عن ابن التين قوله : الرُّقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى ، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق ، حصل الشفاء بإذن الله تعالى ، فلما عَزَّ هذا النوع ، فزع الناس إلى الطب الجسمانى [2] .

وأنا أقول : إنَّ الطب الجسمانى مشروع ، حتى مع وجود ذلك النوع من الطب الروحى ، الذى يتجلى فى الرقى الشرعية والتعاويذ النبوية .

والنبى ﷺ شرع لأُمَّته هذا وذاك جميعاً ، فتداوى ، وشرع التداوى للأُمَّة ،

---

(١) رواه أحمد : ٣/ ٤٢١ ، والترمذى فى الطب (٢٠٦٦) ، وقال : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح ، وابن ماجه فى الطب حديث (٣٤٣٧) ، وله شاهد من حديث كعب بن مالك رواه ابن حبان فى صحيحه (الإحسان : ٦١٠٠) ، وآخر من حديث حكيم بن حزام رواه الحاكم وسكت عليه هو والذهبى (٤/ ٤٠٢) وفى موضع آخر : صححه ، ووافقه الذهبى (٤/ ١٩٩) كما رواه الطبرانى ، وقال الهيثمى (٥/ ٨٥) : فيه صالح بن أبى الأخضر ضعيف يعتبر به ، وهو فى سند الحاكم أيضاً .

(٢) الفتح : ١٠/ ١٩٦

وصحَّت أحاديثه القولية والفعلية والتقريرية فى ذلك ، وعُرِف فى عدد من كتب الحديث « كتاب الطب » .

وقال فى ذلك عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أبو هريرة : « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء » (١) .

وعن ابن مسعود مرفوعاً « إن الله لم يُنزل داءً إلا وأنزل له شفاء ، فتداووا به » (٢)

وعن أسامة بن شريك : « تداووا يا عباد الله ، فإنَّ الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء إلا داء الهرم » (٣) .

وعن جابر بن عبد الله : « لكل داء دواء ، فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى » (٤) .

« ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، علمه مَن علمه ، وجهله مَن جهله » (٥) .

ومع هذا شرع الرسول الكريم لأُمته الرُّقى والتعوذ بالله تعالى ، شرعها من الألم أو المرض الواقع ، وشرعها مما يُخاف ويُتوقع فى المستقبل .

---

(١) رواه البخارى فى أول كتاب الطب عن أبى هريرة (الفتح ١٠/ ١٣٤) حديث (٥٦٧٨) .

(٢) قال فى الفتح (١٠/ ١٣٥) : أخرجه عن ابن مسعود النسائى وصححه ابن حبان والحاكم .

(٣) رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والأربعة ، وصححه الترمذى وابن خزيمة والحاكم عن أسامة بن شريك (الفتح المذكور) .

(٤) رواه مسلم عن جابر ، المصدر السابق .

(٥) رواه النسائى وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم - المصدر نفسه .

ففى حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان يُعَوِّذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة .

وروى الشيخان عن عائشة : « أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه ، ينفث بالمعوذتين ، ويمسح بهما وجهه » .

وعن خولة بنت حكيم مرفوعاً : « مَن نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله » (١) .

وعن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رجلاً من أسلَم ، قال : كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أصحابه ، فقال : يا رسول الله ؛ لُدِغتُ الليلة فلم أنم حتى أصبحت ، قال : « ماذا » ؟ قال : عقرب ، قال : « أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضرك إن شاء الله » (٢) .

وهذا يدلنا على أن الرقى والتعاويذ المشروعة تكون للوقاية ، كما تكون للعلاج .

* *

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى كما فى صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٥٦٧) .

(٢) رواه مسلم فى الذكر ، حديث (٢٧٠٩) ، باب : التعوذ من سوء القضاء . . . إلخ ، وأبو داود فى الطب - واللفظ له - (٣٨٩٨) ، وابن ماجه (٣٥١٨) ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً .

● نفع الأدوية الإلهية :

قال الإمام ابن القيم فى « زاد المعاد » : واعلم أن الأدوية الطبيعية الإلَهية تنفع من الداء بعد حصوله ، وتمنع من وقوعه ، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً ، وإن كان مؤذياً ، والأدوية الطبيعية إنما تنفع ، بعد حصول الداء ، فالتعوذات والأذكار ، إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب ، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه ، فالرقى والتعوذ تُستعمل لحفظ الصحة ، ولإزالة المرض .

أما الأول : فكما فى « الصحيحين » من حديث عائشة كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (١) والمعوِّذتين ، ثم يمسح بهما وجهه ، وما بلغت يده من جسده (٢) .

وكما فى « الصحيحين » : « مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » (٣) .

وكما فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ : « مَن نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » (٤) .

وكما فى سنن أبو داود كان فى السفر يقول بالليل : « يا أرض ، ربى

---

(١) الإخلاص : ١

(٢) رواه البخارى : ١١/١٠٧ فى الدعوات ، باب : التعوذ والقراءة عند النوم ، ومسلم (٢١٩٢) فى السلام ، باب : رقية المريض بالمعوذات .

(٣) رواه البخارى : ٩/ ٥٠ فى فضائل القرآن ، باب : فضل سورة البقرة ، ومسلم (٨٠٨) فى المسافرين ، باب : فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة .

(٤) رواه مسلم (٢٧٨٨) فى الذكر والدعاء ، باب : التعوذ من سوء القضاء .

وربك الله ، أعوذُ بالله من شَرِّك وشَرِّ ما فيك ، وشَرِّ ما يدبّ عليك ، أعوذُ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد » (١) .

وأما الثانى ، فكرُقية اللديغ بالفاتحة (٢) .

* *

● أفضل الرُّقى :

ولا خلاف أن أفضل الرُّقى ما كان بالصيغة المأثورة عن النبى ﷺ ، وكذلك ما أُثِر عن جبريل أمين الوحى عليه السلام : أنه رقى به النبى ﷺ ، وقد صحَّت عدة صيغ عن رسول الله ﷺ بالإضافة إلى الصيغة الجبريلية ، وينبغى للمسلم أن يرقى بها ، بما اشتملت عليه من أفضل أنواع الدعاء لله والاستعاذة بالله ، والالتجاء إليه ، والبراءة مما سواه ، فضلاً عما لها من حلاوة ، وما عليها من طلاوة .

والمسلم يُؤجَر بالرُّقية بهذه الرُّقى النبوية من وجهين :

الأول : وجه الذكر والدعاء والاستعانة بالله تعالى .

والثانى : وجه الاتباع للمأثور النبوى ، والتقيد به : ففيه الهدى والفلاح .

وهذه الرُّقى منها ما هو من القرآن الكريم مثل المعوذات : سورة الإخلاص ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (٣) ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (٤) ، ومثل فاتحة الكتاب ، التى رقى بها أصحابُه وأقرَّهم عليها ، ومثل آية الكرسى .

ومنها : أذكار وأدعية ليست من القرآن الكريم ، وإن كانت مقتبسة من هُدَاه .

* *

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٣) ، وأحمد : ٢/١٣٢ ، وفى سنده الزبير بن الوليد الشامى لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقى رجاله ثقات .

(٢) انظر زاد المعاد : ٤/١٨٢ - ١٨٤

(٣) أى سورة الفلق .

(٤) أى سورة الناس .

● الصيغ النبوية للرُّقى :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان ، مسحه بيمينه . ثم قال : « أذهب البأس ، رب الناس ، واشف أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سَقَماً » (١) .

فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل ، أخذتُ بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع ، فانتزع يده من يدى ، ثم قال : « اللَّهم اغفر لى واجعلنى مع الرفيق الأعلى » .

قالت : فذهبت أنظر ، فإذا هو قد قضى (٢) .

وعنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له قال : « أذهب الباس ، رب الناس ، واشف أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سَقَماً » (٣) .

وفى رواية عنها أنه كان يرقى بهذه الرقية : « أذهب الباس ، رب الناس ، بيدك الشفاء ، لا كاشف له إلا أنت » (٤) .

وروى البخارى عن عبد العزيز بن صهيب قال : دخلت أنا وثابت (البنانى) على أنس بن مالك ، فقال ثابت : يا أبا حمزة ؛ اشتكيتُ ! فقال أنس : ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى ، قال : « اللَّهم

---

(١) « لا يغادر سَقَماً » أى لا يترك ، والسُّقْم بضم السين وإسكان القاف وبفتحهما ، لغتان .

(٢) رواه مسلم فى السلام ، حديث (٢١٩١) (٤٦) ، وأول الحديث فى البخارى فى الطب : ١٠/٢٠٦ حديث (٥٧٤٣) .

(٣) رواه البخارى فى الطب ومسلم فى السلام (٢١٩١) (٤٨) .

(٤) رواه البخارى فى الطب (٥٧٤٤) ومسلم فى السلام (٢١٩١) (٤٩) .

ربَّ الناس ، مُذهب الباس ، اشف أنت الشافى ، لا شافى إلا أنت ، شِفاءً لا يُغادِر سَقَماً » [1] .

* *

● رُقية المريض بالمعوِّذات والنفث :

وعن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله ، نفث عليه بالمعوذات . فلما مرض مرضه الذى مات فيه ، جعلتُ أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه ، لأنها كانت أعظم بركة من يدى [2] ، ومعنى : « نفث عليه » أى نفخ نفخاً لطيفاً بلا ريق ، أو مع ريق خفيف .

وفى رواية عنها : أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ، وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه ، وأمسح عنه بيده ، رجاء بركتها [3] .

وعن عبد الرحمن بن السائب ابن أخى ميمونة ، أن ميمونة قالت لى : يا ابن أخى ؛ ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قالت : « باسم الله أرقيك ، والله يشفيك ، من كل داء فيك ، أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافى ، لا شافى إلا أنت » [4] .

وعن عثمان بن أبى العاص الثقفى ، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً ، يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « ضع يدك على الذى

---

(١) رواه البخارى فى الطب ، باب : رقبة النبى ، البخارى مع الفتح : ١٠/٢٠٦ ، حديث (٥٧٤٢) .

(٢) رواه مسلم فى السلام ، باب : رقية المريض بالمعوذات ، حديث (٢١٩٢) (٥٠) ، والحديث عند البخارى فى الطب أيضاً .

(٣) رواه مسلم فى السلام ، باب : رقبة المريض بالمعوذات ، حديث (٢١٩٢) (٥١) .

(٤) رواه النسائى في « عمل اليوم والليلة » (١٠٢١) ، وأحمد : ٦/٣٣٢ ، وابن حبان : (الإحسان : ٦٠٩٥) ، والطحاوى : ٤/٣٢٩ ، والطبراني : ٢٣/١٠٦١ من طريقين عن معاوية بن صالح به .

وذكره الهيثمى فى المجمع : ٥/١١٣ ، وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وقد وثق وفيه ضعف ، وعلى كل حال إسناده حسن .

تألم من جسدك ، وقل : باسم الله - ثلاثاً - وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقُدرته من شر ما أجد وأحاذر » [1] .

وفى رواية أبى داود : « أعوذ بعزة الله وقُدرته من شر ما أجد » [2] .

وروى مسلم عن أبى سعيد : أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال : يا محمد ؛ اشتكيت ؟ قال : نعم ، قال : « بسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك » [3] .

وروى أبو داود عن أبى الدرداء ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل : ربنا الله الذى فى السماء ، تقدَّس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء ، فاجعل رحمتك فى الأرض ، اغفر لنا حُوبنا [4] وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ بإذن الله » [5] .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله ﷺ كان يُعلِّمهم من الفزع كلمات : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » ، وكان عبد الله بن عمر يعلمهن مَن عقل من بنيه ، ومَن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه [6] .

---

(١) رواه مسلم فى السلام (٢٢٠٢) ، باب : استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء .

(٢) رواه أبو داود فى الطب (٣٨٩١) .

(٣) رواه مسلم فى السلام - حديث (٢١٨٦) .

(٤) قال الخطابى : الحوب : الإثم ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّه كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ (النساء : ٢) ، والحوبة أيضاً - مفتوحة الحاء مع إدخال الهاء .

(٥) رواه أبو داود فى الطب (٣٨٩٢) ، وأحمد : ٦/٢١ ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً وفى سنده مقال .

(٦) رواه أبو داود فى الطب (٣٨٩٣) ، والترمذى فى الدعوات ، حديث (٣٥١٩) ، باب : دعاء مَن أوى إلى فراشه ، وقال : حديث حسن غريب ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً ، ورواه أحمد أيضاً ، وصححه الشيخ شاكر ، وقد تقدَّم .

وعن يزيد بن أبى عبيد ، قال : رأيت أثر ضربة فى ساق سَلَمة ، فقلت : ما هذه ؟ قال : أصابتنى يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة ، فأُتِىَ بى رسول الله ﷺ فنفث فىَّ ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة [١] .

وعن عائشة ، قالت : كان النبى ﷺ يقول للإنسان إذا اشتكى ، يقول بريقه ، ثم قال به فى التراب : « تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يُشفَى سقيمنا » [٢] .

* *

● الرُّقية بفاتحة الكتاب :

ومن أعظم الرُّقى : الرُّقية بفاتحة الكتاب وأم القرآن .

عن خارجة بن الصلت التميمى ، عن عمه [٣] أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم أقبل راجعاً من عنده ، فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد ، فقال أهله : إنَّا حُدِّثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير ، فهل عندك شىء تداويه ؟ فرقيته بفاتحة الكتاب ، فبرأ ، وفى رواية : أنه رقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية . . فكأنما أنشط من عقال . قال : فأعطونى مائة شاة ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : « هل إلا هذا » ؟ ، وقال مسدد فى موضع آخر : « هل قلت غير هذا » ؟ قلت : لا ، قال : خذها ، فلعمرى لمن أكل برُقية باطل لقد أكلتَ برُقية حق » [٤] .

---

(١) رواه البخارى فى المغازى : ٥/ ١٧٠ ، باب : غزوة خيبر ، وأبو داود فى الطب (٣٨٩٤) .

(٢) رواه البخارى فى الطب : ٧/ ١٧١ ، باب : رقية النبى ﷺ ، ومسلم فى السلام ، حديث (٢١٩٤) ، باب : استحباب الرقية . . . إلخ ، وأبو داود فى الطب (٣٨٩٥) ، وابن ماجه فى الطب ، حديث (٣٥٢١) ، باب : ما عوَّذ به النبى ﷺ ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً .

(٣) عم خارجة بن الصلت : هو علاقة بن صحار السليطى .

(٤) رواه أحمد : ٥/ ٢١١ ، وأبو داود فى البيوع (٣٤٢٠) ، وفى الطب (٣٨٩٦) و(٣٨٩٧) ، عمل اليوم والليلة (١٠٣٢) ، والطبرانى : ١٧/ ٥٠٩ ، وصححه ابن حبان : (الإحسان : ٦١١٠ ، ٦١١١) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبى : ١/ ٥٥٩ ، ٥٦٠

وعن أبى سعيد : أن رهطاً من أصحاب رسول الله ﷺ انطلقوا فى سفرة سافروها حتى نزلوا فى حى من أحياء العرب ، فاستضافوهم فأبوا أن يُضيفوهم ، فلُدِغ سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شىء ، لا ينفعه شىء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم ، لعله أن يكون عند بعضهم شىء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ، إنَّ سيدنا لُدِغ ، فسعينا له بكل شىء ، لا ينفعه شىء ، فهل عند أحد منكم شىء ؟ فقال بعضهم : نعم ، والله إنى لراق ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً ، فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ : ﴿ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ - يعنى الفاتحة - حتى لكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشى ما به قَلَبَة . قال : فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا ، فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ فنذكر له الذى كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ، فقال : « وما يدريك أنها رقية ؟ أصبتم ، اقسموا واضربوا لى معكم بسهم » [1] ، ومعنى : « ما به قلبة » ، أى ما به ألم يقلب لأجله على الفراش .

* *

● **من فقه الحديث :**

قال الحافظ فى « الفتح » : « فى الحديث جواز الرُّقية بكتاب الله ، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور ، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما فى المأثور ، وفيه مقابلة مَن امتنع من المكرمة بنظير صنيعه لما صنعه الصحابى من الامتناع من الرقية فى مقابلة امتناع أُولئك من ضيافتهم ، وفيه إمضاء ما يلتزمه المرء على نفسه، لأن أبا سعيد التزم أن يرقى، وأن يكون الجُعْل له ولأصحابه،

---

(١) الحديث متفق عليه ، واللفظ للبخارى فى الطب - حديث (٥٧٤٩) .

وأمره النبى ﷺ بالوفاء بذلك ، وفيه جواز قبض الشئ الذى ظاهره الحل ، وترك التصرف فيه إذا عرضت فيه شبهة ، وفيه الاجتهاد عند فقد النص ، وعظمة القرآن فى صدور الصحابة ، خصوصاً الفاتحة ، وفيه أن الرزق المقسوم لا يستطيع مَن هو فى يده منعه ممن قسم له ، لأن أُولئك منعوا الضيافة ، وكان الله قسم للصحابة فى مالهم نصيباً ، فمنعوهم ، فسبَّبَ لهم لدغ العقرب حتى سيق لهم ما قسم لهم ، وفيه الحكمة البالغة ، حيث اختص بالعقاب مَن كان رأساً فى المنع ، لأن من عادة الناس الائتمار بأمر كبيرهم ، فلما كان رأسهم فى المنع ، اختص بالعقوبة دونهم جزاءً وفاقاً » (١) .

* *

● **عظمة الفاتحة :**

وقال الإمام ابن القيم فى « زاد المعاد » : « إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع ، فما الظن بكلام رب العالمين ، ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها ؟ لتضمنها جميع معانى كتب الله المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب تعالى ومجامعها ، وهى : الله ، والرب ، والرحمن ، وإثبات المعاد ، وذكر التوحيدين : توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه فى طلب الإعانة وطلب الهداية ، وتخصيصه سبحانه بذلك ، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه ، وما العباد أحوج شىء إليه ، وهو الهداية إلى صراطه المستقيم ، والمتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته ، بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، والاستقامة عليه إلى الممات ، ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى مُنعَم عليه بمعرفة الحق ، والعمل به ، ومحبته ، وإيثاره ، ومغضوب عليه بعدوله عن الحق بعد معرفته له ، وضال بعدم معرفته له ، وهؤلاء أقسام الخليقة مع تضمنها لإثبات القدر ، والشرع ، والأسماء ، والصفات ، والمعاد ، والنبوات ، وتزكية

---

(١) فتح البارى : ٤/٤٥٧

النفوس ، وإصلاح القلوب ، وذكر عدل الله وإحسانه ، والرد على جميع أهل البدع والباطل ، كما ذكرنا ذلك فى كتابنا الكبير « مدارج السالكين » فى شرحها .

وحقيق بسورة هذا بعض شأنها ، أن يُستشفى بها من الأدواء ، ويُرقَى بها اللديغ .

وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والثناء على الله ، وتفويض الأمر كله إليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وسؤاله مجامع النِعَم كلها ، وهى الهداية التى تجلب النعم ، وتدفع النِقَم ، من أعظم الأدوية الشافية الكافية .

وقد قيل : إن موضع الرُقية منها : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) ، ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء ، فإن فيهما من عموم التفويض والتوكل ، والالتجاء والاستعانة ، والافتقار والطلب ، والجمع بين أعلى الغايات ، وهى عبادة الرب وحده ، وأشرف الوسائل وهى الاستعانة به على عبادته ، ما ليس فى غيرها . ولقد مرّ بى وقت بمكة سقمتُ فيه ، وفقدت الطبيب والدواء ، فكنت أتعالج بها ، آخذ شربة من ماء زمزم ، وأقرؤها عليها مراراً ، ثم أشربه ، فوجدتُ بذلك البرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع ، فأنتفع بها غاية الانتفاع » (٢) .

* *

● من أى شىء تكون الرُقية ؟

أثبتت الأحاديث الصحاح : أن الرُقية مشروعة من كل الآلام والأمراض التى تصيب المسلم .

روى مسلم فى صحيحه فى باب استحباب الرُقية من العين والنملة والحُمة

---

(١) الفاتحة : ٥ (٢) زاد المعاد : ٤/ ١٧٧ ، ١٧٨

والنظرة ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، قال : سألت عائشة عن الرُّقية ؟ فقالت : رخَّص رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار فى الرُّقية ، من كل ذى حُمة (١) .

الحُمة فى السم : ومعناه : أذن فى الرُّقية من كل ذات سم .

وعن عائشة أيضاً : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه ، أو كانت به قرحة أو جرح ، قال النبى ﷺ بإصبعه هكذا ، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها : « باسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليشفى به سقيمنا ، بإذن ربنا » (٢) .

وعنها رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقى من العين (٣) .

وعن أنس قال : رخَّص رسول الله ﷺ ، فى الرُّقية من العين ، والحُمة ، والنملة (٤) .

وعن أم سلمة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لجارية ، فى بيت أُم سلمة ، زوج النبى ﷺ رأى بوجهها سفعة فقال : « بها نظرة فاسترقوا لها » يعنى بوجهها صفرة (٥) .

« السفعة » قد فسرها فى الحديث بالصفرة ، وقيل : سواد . وقال

---

(١) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٣) .

(٢) « أرضنا ، بريقة » قال جمهور العلماء : المراد بأرضنا هنا : جملة الأرض . وقيل : أرض المدينة خاصة لبركتها ، والريقة : أقل من الريق ، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السابة ، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء ، فيمسح به على الموضح الجريح أو العليل ، ويقول هذا الكلام فى حال المسح .

(٣) متفق عليه وسيأتى .

(٤) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٦) (٥٨) .

(٥) رواه مسلم فى السلام .

ابن قتيبة : هى لون يخالف لون الوجه ، و« النظرة » هى العين ، أى أصابتها عين ، وقيل : هى المس أى مس الشيطان .

وعن أبى الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : رخَّص النبى ﷺ لآل حزم فى رقية الحية . وقال لأسماء بنت عميس : « مالى أرى أجسام بنى أخى ضارعة (أى نحيفة) تصيبهم الحاجة » ؟ قالت : لا ، ولكن العين تسرع إليهم ، قال : « ارقيهم » ، قالت : فعرضت عليه ، فقال : « ارقيهم » (١) .

قال أبو الزبير : وسمعت جابر بن عبد الله يقول : لدغت رجلاً منا عقرب ، ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ أرقى ؟ - وفى رواية : أرقيه ؟ - قال : « مَن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » (٢) .

وعن جابر أيضاً قال : كان لى خال يرقى من العقرب ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرُّقى : قال : فأتاه ، فقال : يا رسول الله ؛ إنك نهيت عن الرُّقى ، وأنا أرقى من العقرب ، فقال : « مَن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » (٣) .

وعن جابر أيضاً ، قال : نهى رسول الله ﷺ عن الرُّقى ، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ؛ إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب ، وإنك نهيت عن الرُّقى ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : « ما أرى بأساً ، مَن استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » (٤) .

* *

---

(١) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٨) .
(٢) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٩) (٦١) .
(٣) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٩) (٦٢) .
(٤) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٩) (٦٣) .

● لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك :

وعن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنا نرقى فى الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله ؛ كيف ترى فى ذلك ؟ فقال : « اعرضوا علىَّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » (١) .

روى أبو داود عن الشفَاء (٢) بنت عبد الله قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة ، فقال لى : « ألا تُعلِّمين هذه رُقية النملة كما علمتيها الكتابة » ؟ (٣) .

والنملة : قروح تخرج فى الجنبين ، ويقال : إنها تخرج أيضاً فى غير الجنب ، تُرقَى فتذهب بإذن الله عَزَّ وجَلَّ .

وعن عثمان بن حكيم : حدَّثتنى جدتى الرباب قالت : سمعت سهل ابن حُنيف يقول : مررنا بسيل فدخلت ، فاغتسلت فيه ، فخرجت محموماً ، فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « مُرُوا أبا ثابت يتعوَّذ » ، قالت : فقلت : يا سيدى (٤) ، والرقى صالحة ؟ فقال : « لا رُقية إلا فى نفس أو حُمة أو لدغة » (٥) .

قال أبو داود : الحُمة من الحيَّات وما يلسع .

---

(١) رواه مسلم فى السلام (٢٢٠٠) .

(٢) الشفاء : اسمها ليلى ، وغلب عليها الشفاء ، قرشية عدوية ، أسلمت قبل الهجرة ، وبايعت النبى ﷺ ، وكان النبى ﷺ يأتيها ويقيل فى بيتها ، وكان عمر رضى الله عنه يُقدِّمها فى الرأى ويرضاها ويفضلها ، وربما ولاها شيئاً من أمر السوق ، والياء فى « علمتيها الكتابة » ناشئة عن إشباع الكسرة .

(٣) رواه أبو داود فى الطب ، حديث (٣٨٨٧) .

(٤) قال الخطابى : النفس : العين ، وفيه بيان جواز أن يقول الرجل لرئيسه من الآدميين : يا سيدى .

(٥) رواه أبو داود فى الطب (٣٨٨٨) .

وأنفع ما يكون الرُّقية من العين ، وخصوصاً عين الحاسد إذا حسد .

* *

● كلام ابن القيم فى تأثير العين والرقية منها :

كتب ابن القيم فى كتاب « زاد المعاد فى هَدْى خير العباد » فصولاً فى هَدْيه - صلى الله عليه وسلم - فى العلاج بالأدوية الروحانية الإلهية المفردة ، والمركَّبة منها ، ومن الأدوية الطبيعية :

منها : فصل فى هَدْيه - صلى الله عليه وسلم - فى علاج المصاب بالعين ، وفيه ذكر جملة من الأحاديث منها :

ما رواه مسلم « فى صحيحه » عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ولو كان شىء سابقَ القدر ، لسبقته العين » (١) .

وفى « صحيحه » أيضاً عن أنس ، أن النبى ﷺ رخَّص فى الرُّقية من الحُمة والعَيْن والنملة (٢) .

وفى « الصحيحين » من حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « العَيْن حق » (٣) .

---

(١) رواه مسلم (٢١٨٨) فى السلام ، باب : الطب والمرض والرُّقى ، ومعناه : أنَّ القَدَر لا يسبقه شىء ، ولو كان يُسبق لسبقته العَيْن لقوتها وسرعة تأثيرها .

(٢) رواه مسلم (٢١٩٦) فى السلام ، باب : استحباب الرُّقية من العَيْن والنملة والحُمة والنظرة ، والحُمة بالتخفيف : السُّم ، ويُطلق على إبرة العقرب للمجاورة ، لأن السُّم يخرج منها ، والنملة : قروح تخرج فى الجنب .

(٣) رواه البخارى : ١٠/١٧٣ ، فى الطب ، باب : العين حق ، ومسلم (٢١٨٧) فى السلام ، باب : الطب والمرض والرُّقى .

وفى « الصحيحين » عن عائشة قالت : أمرنى النبى ﷺ - أو أمر - أن نسترقى من العين [1] .

وذكر الترمذى : أن أسماء بنت عُميس ، قالت : يا رسول الله ؛ إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم ؟ فقال : « نعم ، فلو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين » ، قال الترمذى : حديث حسن صحيح [2] .

قال الإمام ابن القيم : والعين : عينان : عين إنسية ، وعين جنِّية ، فقد صح عن أم سلمة ، أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة ، فقال : « استرقوا لها ، فإن بها النظرة » [3] .

قال الحسين بن مسعود الفرَّاء البغوى : وقوله : « سفعة » أى نظرة ، يعنى : من الجن . يقول : بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسِنَّة الرماح [4] .

وعن أبى سعيد ، أن النبى ﷺ كان يتعوَّذ من الجان ، ومن عين الإنسان [5] .

فأبطلت طائفة ممن قَلَّ نصيبهم من السمع والعقل أمر العَيْن ، وقالوا : إنما

---

(١) رواه البخارى : ١٠/١٦٩ - ١٧٠ فى الطب : باب : رُقية العَيْن ، ومسلم (٢١٩٥) فى السلام ، باب : استحباب الرُّقية من العَيْن والنملة والحُمة والنظرة .

(٢) رواه الترمذى (٢٠٥٩) ، وأحمد : ٦/٤٣٨ ، وابن ماجه (٣٥١٠) ، وسنده جيد .

(٣) أخرجه البخارى : ١٠/١٧١ - ١٧٢ فى الطب : باب : رُقية العَيْن ، ومسلم (٢١٩٧) فى السلام ، باب : رُقية العَيْن ، والسَّفْعة - بفتح السين ويجوز ضمها وسكون الفاء - سواد فى الوجه ، ومنه سَفْعة الفرس : سواد ناصيته ، وعن الأصمعى : حُمْرة يعلوها سواد ، وقيل : صُفْرة ، وقيل : سواد مع لون آخر ، وقال ابن قتيبة : لون يخالف لون الوجه ، وكلها متقاربة .

(٤) انظر شرح السُّنَّة : ١٣/١٦٣ ، بتحقيق شعيب الأرناؤوط .

(٥) أخرجه الترمذى (٢٠٥٩) ، والنسائى : ٨/٢٧١ ، وابن ماجه (٣٥١١) ، وحسَّنه الترمذى ، وتمامه : « فلما نزلت المعوذتان ، أخذ بهما وترك ما سوى ذلك » .

ذلك أوهام لا حقيقة لها ، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ، ومن أغلظهم حجاباً ، وأكثفهم طباعاً ، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس ، وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها ، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ، ولا تنكره ، وإن اختلفوا فى سببه وجهة تأثير العَيْن .

فقالت طائفة : إن العائن إذا تكيَّفت نفسه بالكيفية الرديئة ، انبعث من عينه قوة سُمِّية تتصل بالمعين ، فيتضرر ، قالوا : ولا يُستنكر هذا ، كما لا يُستنكر انبعاث قوة سُمِّية من الأفعى تتصل بالإنسان ، فيهلك ، وهذا أمر قد اشتُهِر عن نوع من الأفاعى ، أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلكَ ، فكذلك العائن .

وقالت فرقة أُخرى : لا يُستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية ، فتتصل بالمعين ، وتتخلل مسام جسمه ، فيحصل له الضرر .

وقالت فرقة أُخرى : قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوة ولا سبب ولا تأثير أصلاً ، وهذا مذهب مُنكرى الأسباب والقُوَى والتأثيرات فى العالَم ، وهؤلاء قد سدُّوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب ، وخالفوا العقلاء أجمعين .

قال ابن القيم : « ولا ريب أنَّ الله سبحانه خلق فى الأجسام والأرواح قُوَى وطبائع مختلفة ، وجعل فى كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة ، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح فى الأجسام ، فإنه أمر مُشاهَد محسوس ، وأنت ترى الوجه كيف يحمرّ حُمرة شديدة إذا نظر إليه مَن يحتشمه ويستحى منه ، ويصفرّ صُفرة شديدة إذا نظر مَن يخاف إليه ، وقد شاهد الناس مَن يسقم من النظر وتضعف قواه ، وهذا كله بتأثير الأرواح ، ولشدة ارتباطها بالعين يُنسب الفعل إليها ، وليست هى الفاعلة ، وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة فى طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها ، فروح الحاسد مؤذية

للمحسود أذىً بيِّناً ، ولهذا أمر الله - سبحانه - رسوله أن يستعيذ به من شره ، وتأثير الحاسد فى أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية ، وهو أصل الإصابة بالعَيْن ، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة ، وتقابل المحسود ، فتؤثر فيه بتلك الخاصية ، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى ، فإن السُّمَّ كامن فيها بالقوة ، فإذا قابلت عدوها ، انبعث منها قوة غضبية ، وتكيَّفت بكيفية خبيثة مؤذية ، فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى إسقاط الجنين ، ومنها ما تؤثر فى طمس البصر ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الأبتر ، وذى الطفيتين من الحيات : « إنهما يلتمسان البصر ، ويُسقطان الحبل » (١) .

ومنها ما تؤثر فى الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به ، لشدة خبث تلك النفس ، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة ، والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية ، كما يظنه مَن قَلَّ علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة ، بل التأثير يكون تارة بالاتصال ، وتارة بالمقابلة ، وتارة بالرؤية ، وتارة بتوجه الروح نحو مَن يُؤثِّر فيه ، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات ، وتارة بالوهم والتخيل ، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى ، فيوصف له الشيء ، فتُؤثِّر نفسه فيه ، وإن لم يره ، وكثير من العائنين يُؤثِّر فى المعين بالوصف من غير رؤية ، وقد قال تعالى لنبيه : ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ** ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ (٣) ، فكل عائن حاسد ،

---

(١) أخرجه البخارى : ٦/٢٤٨ فى بدء الخلق ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ (البقرة : ١٦٤) ، ومسلم (٢٢٣٣) فى السلام ، باب : قتل الحيَّات وغيرها ، من حديث ابن عمر ، والطفيتان : هما الخطان الأبيضان على ظهر الحيَّة ، والأبتر : قصير الذنب ، وقوله : يلتمسان البصر ، قال الخطابى : فيه تأويلان ، أحدهما : معناه يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه بخاصة جعلها الله تعالى فى بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان ، والثانى : أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش ، والأول أصح وأشهر . (٢) القلم : ٥١ (٣) الفلق : ٤ - ٥

وليس كل حاسد عائناً ، فلما كان الحاسد أعم من العائن ، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن ، وهى سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة ، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه ، أثَّرت فيه ، ولا بد ، وإن صادفته حذراً شاكى السلاح لا منفذ فيه للسهام ، لم تُؤثِّر فيه ، وربما رُدَّت السهام على صاحبها ، وهذا بمثابة الرمى الحسى سواء ، فهذا من النفوس والأرواح ، وذاك من الأجسام والأشباح ، وأصله من إعجاب العائن بالشىء ، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة ، ثم تستعين على تنفيذ سُمها بنظرة إلى المعين ، وقد تَعين الرجل نفسه ، وقد تعين بغير إرادته ، بل بطبعه ، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنسانى ، وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء : إن مَن عُرِف بذلك ، حبسه الإمام ، وأجرى له ما يُنفَق عليه إلى الموت ، وهذا هو الصواب قطعاً .

والمقصود . . العلاج النبوى لهذه العِلَّة ، وهو أنواع ، وقد روى أبو داود فى سننه عن سهل بن حنيف ، قال : مررنا بسيل ، فدخلت ، فاغتسلت فيه ، فخرجت محموماً ، فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « مُرُّوا أبا ثابت يتعوَّذ » ، قال : فقلت : يا سيدى ؛ والرقى صالحة ؟ فقال : « لا رقية إلا فى نفس ، أو حُمة أو لدغة » (١) .

والنفس : العَيْن ، يقال : أصابت فلاناً نفساً ، أى : عين . والنافس : العائن . واللدغة - بدال مهملة وغين معجمة - وهى ضربة العقرب ونحوها .

فمن التعوذات والرُّقى : الإكثار من قراءة المعوذتين ، وفاتحة الكتاب ، وآية الكرسى .

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٨) فى الطب ، باب : ما جاء فى الرُّقى ، وفى سنده « رباب » جدة عثمان بن حكيم ، لم يوثقها غير ابن حبان ، وباقى رجاله ثقات .

ومنها التعوذات النبوية نحو : « أعوذ بكلمات الله التامات من شَرِّ ما خلق » (١) .

ونحو : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » .

ونحو : « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بَر ولا فاجر ، من شَرِّ ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شَرِّ ما يعرج فيها ، ومن شَرِّ ما ذرأ فى الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شَرِّ فتن الليل والنهار ، ومن شَرِّ طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن » .

ومنها : « أعوذُ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شَرِّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » .

ومنها : « اللَّهم إنى أعوذُ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات من شَرِّ ما أنت آخذ بناصيته ، اللَّهم أنت تكشف المأثم والمغرم ، اللَّهم إنه لا يُهزم جندك ، ولا يُخلف وعدك ، سبحانك وبحمدك » .

ومنها : « أعوذُ بوجه الله العظيم الذى لا شىء أعظم منه ، وبكلماته التامات التى لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر ، وأسماء الله الحسنى ، ما علمتُ منها وما لم أعلم ، من شَرِّ ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شَرِّ كل ذى شَرٍّ لا أطيق شَرَّه ، ومن شَرِّ كل ذى شَرٍّ أنت آخذ بناصيته ، إن ربى على صراط مستقيم » .

ومنها : « اللَّهم أنت ربى لا إلَه إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قُوَّة إلا بالله ، أعلم أنَّ الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كل شىء عدداً ، اللَّهم إنى أعوذُ بك من شَرِّ نفسى ، وشَرِّ

---

(١) رواه مسلم فى السلام ، باب : الذكر والدعاء (٢٧٠٩) .

الشيطان وشركه ، ومن شرِّ كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إنَّ ربى على صراط مستقيم » .

وإن شاء قال : « تحصَّنتُ باللهِ الذى لا إله إلا هو ، إلهى وإله كل شىء ، واعتصمت بربى ورب كل شىء ، وتوكلت على الحى الذى لا يموت ، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبى الله ونِعْمَ الوكيل ، حسبى الرب من العباد ، حسبى الخالق من المخلوق ، حسبى الرازق من المرزوق ، حسبى الذى هو حسبى ، حسبى الذى بيده ملكوت كل شىء ، وهو يُجير ولا يُجار عليه ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، وليس وراء الله مرمى ، حسبى الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم » .

ومَن جرَّب هذه الدعوات والعوذ ، عرف مقدار منفعتها ، وشدة الحاجة إليها ، وهى تمنع وصول أثر العائن ، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها ، وقوة نفسه ، واستعداده ، وقوة توكله وثبات قلبه ، فإنها سلاح والسلاح بضاربه .

وإذا كان العائن يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين ، فليدفع شرها بقوله : اللَّهم بارك عليه ، كما قال النبى ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف : « ألا برَّكتَ » [1] ، أى : قلتَ : اللَّهم بارك عليه .

ومما يُدفع به إصابة العين قول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، روى هشام ابن عروة ، عن أبيه ، أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه ، أو دخل حائطاً من حيطانه ، قال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله .

ومنها رُقية جبريل عليه السلام للنبى ﷺ التى رواها مسلم فى « صحيحه » :

---

(١) رواه مالك فى الموطأ : ٢/٩٣٨ ، فى أول كتاب العَيْن ورجاله ثقات .

« بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شَرِّ كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك » (١) .

ورأى جماعة من السَلَف أن تُكتب له الآيات من القرآن ، ثم يشربها ، قال مجاهد : لا بأس أن يكتب القرآن ، ويغسله ، ويسقيه المريض ، ومثله عن أبى قِلابة ، ويُذكر عن ابن عباس : أنه أمر أن يُكتب لامرأة تعسَّر عليها ولادها أثر من القرآن ، ثم يُغسل وتُسقى ، وقال أيوب : رأيت أبا قِلابة كتب كتاباً من القرآن ، ثم غسله بماء ، وسقاه رجلاً كان به وجع .

ذكر هذا كله ابن القيم فى « زاد المعاد » (٢) .

* *

● مَن يرقى ؟

وينبغى أن يكون الراقى مسلماً صالحاً ، حتى يكون مظنة لاستجابة الدعاء ، سواء أكان رجلاً أم امرأة ، وإن جاز أن يكون الراقى غير مسلم ، إذا التزم برقى المسلمين ، وهذا أمر غير مأمون .

روى ابن حبان عن عائشة : أن رسول الله ﷺ دخل عليها ، وامرأة تعالجها أو ترقيها ، فقال : « عالجيها بكتاب الله » (٣) .

قال أبو حاتم ابن حبان : قوله صلى الله عليه وسلم : « عالجيها بكتاب الله » أراد : عالجيها بما يُبيحه كتاب الله ، لأن القوم كانوا يرقون فى الجاهلية

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٥) فى السلام ، باب : الطب والمرض والرُّقى .

(٢) الجزء الرابع ، ص ١٦٢ - ١٧١ ، طبع الرسالة ، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

(٣) الإحسان : ١٣/ ٤٦٤

بأشياء فيها شرك ، فزجرهم بهذه اللفظة عن الرُّقى إلا بما يبيحه كتاب الله دون ما يكون شركاً (١) .

وفى بعض الروايات أن هذه المرأة كانت يهودية ، فقد روى فى العَيْن ، باب : التعوذ والرقية من المرض ، والبيهقى عن يحيى بن سعيد ، عن عمرة بنت عبد الرحمن : أن أبا بكر الصِّدِّيق دخل على عائشة ، وهى تشتكى ، ويهودية ترقيها ، فقال أبو بكر : ارقيها بكتاب الله (٢) .

قال الزرقانى فى « شرح الموطأ » : قال الربيع : سألت الشافعى عن الرُّقية ، فقال : لا بأس أن ترقى بكتاب الله وبما يُعرف من ذكر الله ، قلت : أيرقى أهل الكتاب المسلمين ؟ قال : نعم ، إذا رقوا من كتاب الله (٣) .

* *

● الرُّقى المكتوبة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ويجوز أن يُكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئاً من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويُغسل ويُسقى ، كما نص على ذلك أحمد وغيره ، قال عبد الله بن أحمد : قرأت على أبى : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب : بسم الله ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالَمين : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُواْ إلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (٤) ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ

---

(١) انظر الإحسان (٦٠٩٨) ، قال محققه : رجاله ثقات رجال الشيخين ، إلا أن أبا أحمد الزبيرى ، وهو محمد بن عبد الله بن الزبير - قال محمد : كان كثير الخطأ فى حديث سفيان ، وقال أبو حاتم : عابد مجتهد حافظ للحديث له أوهام .

(٢) الموطأ : ٢/٩٤٣ ، والسنن الكبرى : ٩/٣٤٩

(٣) الزرقانى على الموطأ : ٤/٣٢٨ (٤) النازعات : ٤٦

يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ، بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) . قال أبى : حدثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه ، وقال : يُكتبَ فى إناء نظيف فيُسقى ، قال أبى : وزاد فيه وكيع : فتُسقى ويُنضح ما دون سُرَّتها ، قال عبد الله : رأيت أبى يكتب للمرأة فى جام أو شىء نظيف .

وقال أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيرى : أخبرنا الحسن ابن سفيان النسوى ، حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، حدثنا علىّ ابن الحسن بن شقيق ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إذا عسر على المرأة ولادها فليكتب : بسم الله ، لا إلَه إلا الله العلى العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ، بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . قال علىّ : يكتب فى كاغدة فيُعلّق على عضد المرأة ، قال علىّ : وقد جربناه فلم نر شيئاً أعجب منه ، فإذا وضعت تحله سريعاً ثم تجعله فى خرقة أو تحرقه (٢) .

هذا وأنا أفضل أن تكون الرقى مقروءة شفاهاً ، كما كان يفعل النبى ﷺ .

* *

● الرد على مَن كره الرُّقى بإطلاق :

روى الشيخان وغيرهما - واللفظ للبخارى - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج علينا النبى ﷺ يوماً فقال : « عُرضت علىّ الأُمم ، فجعل يمر النبى معه الرجل ، والنبى معه الرجلان ، والنبى معه الرهط ، والنبى ليس معه أحد ، ورأيت سواداً كثيراً سدَّ الأُفق ، فرجوتُ أن تكون أُمَّتى ، فقيل :

---

(١) الأحقاف : ٣٥ (٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٩/ ٦٤ - ٦٥

هذا موسى وقومه ، ثم قيل لى : انظر ، فرأيتُ سواداً كثيراً سدَّ الأُفق ، فقيل لى : انظر هكذا وهكذا ، فرأيتُ سواداً كثيراً سدَّ الأُفق ، فقيل : هؤلاء أُمَّتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » .

فتفرَّق الناس ولم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبى ﷺ فقالوا : أما نحن فوُلدنا فى الشرك ، ولكنَّا آمنا بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ النبى ﷺ فقال : « هم الذين لا يتطيَّرون ، ولا يكتوون ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون » ، فقام عكاشة بن محصن فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ فقال : « سبقك بها عكاشة » (١) .

تمسك بهذا الحديث مَن كره الرُّقى والكى من بين سائر الأدوية وزعم أنهما قادحان فى التوكل دون غيرهما ، وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة :

أحدها : قاله الطبرى والمازرى وطائفة : أنه محمول على مَن جانب اعتقاد الطبائعيين فى أن الأدوية تنفع بطبعها كما كان أهل الجاهلية يعتقدون .

وقال غيره : الرُّقى التى يُحمد تركها ما كان من كلام الجاهلية ، ومن الذى لا يُعقل معناه لاحتمال أن يكون كفراً ، بخلاف الرُّقى بالذكر ونحوه .

وتعقبه عياض وغيره بأن الحديث يدل على أن للسبعين ألفاً مزية على غيرهم وفضيلة انفردوا بها عمن شاركهم فى أصل الفضل والديانة ، ومَن كان يعتقد أن الأدوية تؤثر بطبعها أو يستعمل رقى الجاهلية ونحوها فليس مسلماً ، فلم يسلم هذا الجواب .

ثانيها : قال الداودى وطائفة : إن المراد بالحديث الذين يجتنبون فعل ذلك فى الصحة خشية وقوع الداء ، وأما مَن يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا ،

---

(١) رواه البخارى فى الطب ، باب : مَن لم يرق - حديث (٥٧٥٢) ، ومسلم فى السلام .

وقد قدَّمتُ هذا عن ابن قتيبة وغيره فى باب : « مَن اكتوى » ، وهذا اختيار ابن عبد البر ، غير أنه معترض بما قدَّمته من ثبوت الاستعاذة قبل وقوع الداء .

ثالثها : قال الحليمى : يُحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المذكورين فى الحديث : مَن غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المُعَدة لدفع العوارض ، فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء ، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء والاعتصام بالله ، والرضا بقضائه ، فهم غافلون عن طب الأطباء ورقى الرُقاة ، ولا يحسنون من ذلك شيئاً ، والله أعلم .

رابعها : أن المراد بترك الرُّقى والكى : الاعتماد على الله فى دفع الداء والرضا بقدره ، لا القدح فى جواز ذلك ، لثبوت وقوعه فى الأحاديث الصحيحة وعن السَلَف الصالح ، لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطى الأسباب ، وإلى هذا نحا الخطابى ومَن تبعه . قال ابن الأثير : هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلائقها ، وهؤلاء هم خواص الأولياء .

ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبى ﷺ فعلاً وأمراً ، لأنه كان فى أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل ، وكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ، ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله ، لأنه كان كامل التوكل يقيناً فلا يؤثر فيه تعاطى الأسباب شيئاً ، بخلاف غيره ، ولو كان كثير التوكل ، لكن مَن ترك الأسباب وفوَّض وأخلص فى ذلك كان أرفع مقاماً .

قال الطبرى : قيل : لا يستحق التوكل إلا مَن لم يخالط قلبه خوف من شىء ألبتة ، حتى السبع الضارى والعدو العادى ، ولا من لم يسع فى طلب رزق ولا فى مداواة ألم ، والحق أن مَن وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماض لم يقدح فى توكله تعاطيه الأسباب اتباعاً لسُنَّته وسُنَّة رسوله ، فقد ظاهر صلى الله عليه وسلم فى الحرب بين درعين ، وليس على رأسه المِغْفَر ، وأقعد

الرماة على فم الشِعْب ، وخندَقَ حول المدينة ، وأذن فى الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة ، وهاجر هو ، وتعاطي أسباب الأكل والشرب ، وادخر لأهله قوتهم ، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء ، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك ، وقال الذى سأل : أعقل ناقتى أو أدعها ؟ قال : « اعقلها وتوَكل » ، فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل ، والله أعلم . »[1] .

* * *

(١) فتح البارى : ١٠/ ٢١١ - ٢١٢

(٣)
الكهـــانة وأحكامها

الكهـــــانة

● معنى الكهانة :

الكهانة - كما يذكر الحافظ فى الفتح - ادعاء علم الغيب - كالإخبار بما سيقع فى الأرض . .

والأصل فيه : استراق الجنى السمع من كلام الملائكة ، فيلقيه فى أذن الكاهن .

والكاهن : يُطلق على العرَّاف ، والذى يضرب بالحصى ، والمنجِّم ، ويُطلق على مَن يقوم بأمر آخر ويسعى فى قضاء حواتجه .

وقال فى « المحكم » : الكاهن : القاضى بالغيب .

وقال فى « الجامع » : العرب تسمى كل من أذن بشىء قبل وقوعه كاهناً .

وقال الخطابى : الكهنة قوم لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين ، لما بينهم من التناسب فى هذه الأُمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه .

وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية ، خصوصاً فى العرب ، لانقطاع النبوة فيهم ، وهى على أصناف :

منها : ما يتلقونه من الجن ، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى ، بحيث يسمع الكلام ، فيُلقيه إلى الذى يليه ، إلى أن يتلقاه مَن يلقيه فى أُذن الكاهن ، فيزيد فيه فلما جاء الإسلام ، ونزل القرآن ، حُرِست السماء من الشياطين ، وأُرسلت عليهم الشُّهُب ، فبقى من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **إلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ**

﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [1] ، وكانت إصابة الكُهَّان قبل الإسلام كثيرة جداً ، كما جاء فى أخبار « شق » و« سطيح » ونحوهما ، وأما فى الإسلام فندر ذلك جداً ، حتى كاد يضمحل ، ولله الحمد .

ثانيها : ما يُخبر الجنى به مَن يواليه ، بما غاب عن غيره ، مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً ، أو يطلع عليه مَن قَرُب منه لا مَن بَعُد .

ثالثها : ما يستند إلى ظن وتخمين وحَدْس ، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة ، مع كثرة الكذب فيه .

رابعها : ما يستند إلى التجربة والعادة ، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهى السحر .

وقد يعتضد بعضهم فى ذلك بالزجر والطَّرْق والنجوم ، وكل ذلك مذموم شرعاً [2] .

* *

● الرسول يعلن الحرب على الكهانة والكُهَّان :

وقد روى مسلم فى صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمى قال : قلت : يا رسول الله ؛ أمور كنا نصنعها فى الجاهلية : كنا نأتى الكُهَّان ! قال : « لا تأتوا الكُهَّان » [3] .

وروى الشيخان عن عائشة - واللفظ للبخارى - قالت : سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان ، فقال : « ليس بشىء » - أو « ليسوا بشىء » - فقالوا : يا رسول الله ؛ إنهم يحدثوننا أحياناً بشىء فيكون حقاً ! فقال

---

(١) الصافات : ١٠ (٢) انظر فتح البارى : ١٠/٢١٦ ، ٢١٧

(٣) صحيح مسلم ، حديث (٥٣٧) .

رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق ، يخطفها الجنى ، فيقرها فى أُذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة » (١) .

ومعنى قوله : « ليسوا بشىء » : أى ليس قولهم بشىء يُعتمد عليه ، قال القرطبى : كانوا فى الجاهلية يترافعون إلى الكهان فى الوقائع والأحكام ، ويرجعون إلى أقوالهم ، وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية ، لكن بقى فى الوجود مَن يتشبه بهم ، وثبت النهى عن إتيانهم ، فلا يحل إتيانهم ولا تصديقهم (٢) .

* *

● النهى عن حُلوان الكاهن :

كما نهى النبى ﷺ عن « حُلوان الكاهن » ، وهو ما يُعطاه من أجر أو مكافأة ، وشبه بالشىء الحلو ، من حيث أخذه حلواً سهلاً بلا كلفة ولا مشقة . وقد روى الشيخان عن أبى مسعود الأنصارى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغى ، وحُلوان الكاهن (٣) .

فلا يجوز إعطاؤهم شيئاً مقابل تكهنهم ، كما لا يجوز لهم أخذه ، لأنه كسب مُحرَّم ، وأجر على عمل محظور وضار .

* *

● الكهانة كفر بما أُنزل على محمد :

وروى أحمد وأصحاب السنن عن أبى هريرة مرفوعاً : « مَن أتى كاهناً ، فصدَّقه بما يقوله ، أو أتى امرأة حائضاً ، أو أتى امرأة فى دُبُرها ، فقد برىء مما أُنزِل على محمد » (٤) .

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح : ١٠/٢١٦ ، حديث (٥٧٦٢) ، ومسلم ، حديث (٢٢٢٨) .

(٢) الفتح : ١٠/٢١٩ (٣) اللؤلؤ والمرجان - حديث (١٠١٠) .

(٤) رواه أحمد : ٤/٤٠٨ ، ٤٧٦ ، وأبو داود فى الطب (٣٩٠٤) ، والترمذى فى الطهارة (١٣٥) ، وابن ماجه فى الطهارة (٦٣٩) ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً . وذكره فى صحيح الجامع الصغير منسوبا إليهم (٥٩٤٢) .

وروى أحمد والحاكم عنه مرفوعاً أيضاً : « مَن أتى عرَّافاً أو كاهناً ، فصدَّقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد » (١) .

وروى أحمد ومسلم عن بعض أُمهات المؤمنين ، وسماها بعض الرواة : « حفصة » : أن رسول الله ﷺ قال : « مَن أتى عرَّافاً فسأله عن شيء ، لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة » (٢) .

وأى خسارة أكبر من عدم قبول الصلاة ، وهى عمود الإسلام ، والصلة اليومية بين العبد وربه ؟

وعن ابن مسعود موقوفاً : « مَن أتى عرَّافاً أو ساحراً أو كاهناً ، فسأله ، فصدَّقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ » (٢) .

ومثل هذا لا يُقال بالرأى ، فهو فى حكم المرفوع المروى من قبل عن أبى هريرة ، وهو وعيد مخيف لمن يذهب إلى هؤلاء الدجَّالين ، فإن كان يعتقد أنهم فعلاً يعلمون الغيب ، ويخترقون حُجُبه ، فقد دخل فى الكفر الأكبر الصريح ، المخالف مخالفة قطعية للقرآن والسُّنَّة ، وإلا فقد وقع فى كبيرة من الكبائر التى تجر إلى الكفر والعياذ بالله .

وإذا كان هذا شأن مَن أتاهم وسألهم وصدَّقهم ، فما بالك بأمر هؤلاء أنفسهم ؟ وما موقفهم من الإسلام ؟ وما موقف الإسلام منهم ؟!

روى البزار عن عمران بن حُصَيْن رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه أحمد : ٤/٤٢٩ ، والحاكم فى الإيمان ، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى : ١/٧ ، ٨

(٢) رواه مسلم فى كتاب السلام ، حديث (٢٢٣٠) ، ورواه أحمد : ٥/ ٣٨٠

(٣) قال المنذرى : رواه البزار وأبو يعلى وجوَّد إسناده فى الترغيب . انظر كتابنا (المنتقى : ١٨٥٧) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١١٨) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، خلا هبيرة بن يريم ، وهو ثقة .

« ليس منا مَن تَطير ، أو تُطَيِّر له ، أو تَكَهَّن ، أو تُكُهِّن له ، أو سَحر ، أو سُحِر له ، ومَن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول كفر بما أُنزِل على محمد ﷺ » (١) .

ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس دون قوله : « ومَن أتى . . . إلى آخره » بإسناد حسن ، كما قال المنذرى فى الترغيب والترهيب .

وروى البزار كذلك عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مَن أتى كاهناً فصدَّقه بما قال ، فقد كفر بما أُنزِل على محمد ﷺ » (٢) .

وروى الطبرانى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن ينال الدرجات العُلَى مَن تكهَّن ، أو استقسم ، أو رجع من سفره تطَيُّراً » (٣) .

ومعنى « استقسم » : أى استقسم بالأزلام ونحوها ، وفى القرآن : ﴿ **وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ، ذَلِكُمْ فِسْقٌ** ﴾ (٤) .

والتطَيُّر : التشاؤم ، وهو شىء لا ينبنى على منطق ولا قاعدة ، كالذين يتشاءمون ببعض الأرقام مثل رقم (١٣) ، أو بعض الأيام ، أو بغير ذلك .

---

(١) رواه البزار ، وجوَّد إسناده المنذرى فى الترغيب والترهيب (انظر المنتقى : ١٨٥٣) . وقال الهيثمى : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة : (٥/ ١١٧) ، وفى إسناده كلام ذكره الألبانى فى غاية المرام ، لكنه ارتقى بالحديث إلى الحسن بحديث ابن عباس المذكور .

(٢) قال المنذرى : رواه البزار بإسناد جيد قوى (المنتقى : ١٨٥٤) ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح ، خلا عقبة بن سنان وهو ضعيف (٥/ ١١٧) ، وتعقبه الألبانى فى غاية المرام ، وانتهى إلى أن الحديث فى متنه صحيح ، فقد جاء من ثلاث طرق عن أبى هريرة خرَّجها فى الإرواء .

(٣) قال المنذرى : رواه الطبرانى بإسنادين رواة أحدهما ثقات ، وكذا قال الهيثمى (٥/ ١١٨) وجوَّد إسناده الألبانى فى غاية المرام برقم (٢٨٦) . (٤) المائدة : ٣

وعن قَطَن بن قبيصة عن أبيه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العيافة والطَّيَرة والطَّرْق من الجِبْتِ » (١) .

قال أبو داود : الطَّرْق : الزجر ، والعيافة : الخط (يعنى الخط بالرمل) .

وقال ابن فارس : الطَّرْق : الضرب بالْحَصَى ، وهو جنس من التكهن .

وقال لبيد :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما اللهُ صانع !

و« الجِبْتُ » - بكسر الجيم - : كل ما عُبِدَ من دون الله تعالى ، وقيل : كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك .

* *

● لماذا كانت الكهانة كفراً بما أُنزل على محمد ؟

وذلك أن من المقرر فيما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ : أن الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه ، فلا يعلمه إلا هو سبحانه ، ومَن ارتضى من رسول يعلمه منه بما يشاء وفق الحكمة الإلَهية .

يقول تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **قُل لا يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللهُ** ﴾ (٢) .

﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ** ﴾ (٣) .

وقال لرسوله : ﴿ **قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلا ضَرّاً إلا مَا شَاءَ اللهُ ، وَلَوْ**

---

(١) رواه أبو داود فى الطب (٣٩٠٧) ، ورواه أحمد أيضاً : ٣/ ٤٧٧ ، والنسائى فى التفسير كما فى التحفة : ٨/ ٢٧٥ ، والطبرانى : ١٨/ ٩٤١ - ٩٤٣ ، وابن حبان (الإحسان : ٦١٣١) ، والبيهقى : ٨/ ١٣٩ ، وفى سنده حبان بن المخارق أبو العلاء ، ويقال : ابن العلاء لم يوثقه غير ابن حبان .

(٢) النمل : ٦٥ (٣) الأنعام : ٥٩

كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ، إِنْ أَنَا إلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ (٢) .

وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى : لا يعلم أحد ما يكون فى غَدٍّ إلا الله تعالى ، ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام إلا الله تعالى ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله تعالى ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله تعالى ، ولا يدرى أحد متى يجىء المطر إلا الله تعالى » (٣) .

وفى رواية عنه : « أُوتيتُ مفاتيح كل شىء إلا الخمس : ﴿ إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤) .

وعن بريدة مرفوعاً : « خمس لا يعلمهن إلا الله : ﴿ إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾ . . . . إلى آخر الآية الأخيرة من سورة لقمان (٥) .

وقد صح من حديث جبريل المشهور : أن جبريل سأل النبى ﷺ عن الساعة ؛ فقال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، ولكنى سأخبرك بأشراطها » .

---

(١) الأعراف : ١٨٨ (٢) الجن : ٢٦ - ٢٧

(٣) رواه أحمد والبخارى ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٥٨٨٤) .

(٤) رواه أحمد : ٢/ ٨٥ ، ٨٦ ، - والآية ختمت بها سورة لقمان : ٣٤

(٥) رواه أحمد والروياني عن بريدة ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٣٢٥٥) .

وفى رواية أبى هريرة فى « الصحيحين » : « فى خمس لا يعلمهن الله » .... ثم تلا رسول الله ﷺ الآية [1] .

وكل هذه النصوص تؤكد أن الغيب لا يعلمه إلا الله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [2] .

* *

● **تنبيهات مهمة :**

وأود أن أُنبه هنا على بعض الأُمور التى قد تشتبه على بعض الناس .

من ذلك : ما تذكره هيئات الأرصاد الجوية من احتمالات هبوب الرياح ، وسقوط الأمطار ، ودرجات الحرارة والبرودة والرطوبة ، والمد والجزر ، وما يتعلق بذلك من الأُمور ، فهذه لا تدخل فى الغيب ؛ لأنها مبنية على أشياء مُشاهَدة ، من وجود مرتفعات أو منخفضات جوية قادمة من الشمال أو من الجنوب ، أو من الشرق أو من الغرب ، وتترتب عليها آثارها وفق سنن الله تبارك وتعالى ، فما يذكره الراصدون هنا ليس من الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، بل من المُشاهَدات التى جعل الله علمها لخلقه من البَشر .

على أن الأَوْلى بالراصد المؤمن فى هذا المقام أن يذكر فى كلامه بعض الكلمات المفيدة مثل : « إن شاء الله » ، أو يقول فى النهاية : « هذا والعلم عند الله تعالى » .

ومن الأُمور التى تذكر هنا : أن بعض الناس - ومنهم بعض المفسِّرين القدامى - فهم من قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ ﴾ [3] أن المراد بهذا العلم : أن يعلم أَذَكَرٌ ما فى الرحم أم أُنثى ؟ هذا مع أن الطب المعاصر ، أصبح يعلم اليوم بواسطة الآلات والأجهزة إن كان الجنين ذكراً أو أنثى ، ومن

---

(١) رواه البخارى (٥٠) و(٤٧٧٧) ، ومسلم (٩) .

(٢) الرعد : ٩ (٣) لقمان : ٣٤

وقت مبكّر من الحمل . ونحن نقول : إن التفسير المذكور ليس بصحيح ولا ملزم لنا ، فإن كلمة : « ما » فى قوله تعالى : ﴿ **مَا فِى الأَرْحَامِ** ﴾ من ألفاظ العموم ، فهى تشمل الذُكورة والأُنوثة ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والذكاء والغباء ، والسعادة والشقاء ، والحياة والموت . . إلى آخر هذه الأمور الكثيرة المتشعبة ، التى لا يعلمها كلها إلا الله سبحانه .

فإن كان الطبيب يعلم ذكورة الجنين وأُنوثته ، فإنه لا يعلم هل يكتمل نموه فى بطن أُمه أو لا ؟ هل ينزل حياً أو ميتاً ؟ هل يحيا فقيراً أو غنياً ؟ سعيداً أو شقياً ؟ يتيماً محروماً من أبويه أو أحدهما ، أو يعيش سعيداً بهما ؟ إلخ ، فهذا ما يعلمه الله وحده .

* * *

● التحذير من السحر والسحرة :

والإسلام كما حذَّر من الكهنة ومدعى علم الغيب من ضاربى الرمل والودع والمنجمين وأمثالهم ، حذَّر كذلك من السحر والسَحَرة ، وكاد القرآن يعتبر السحر كفراً ، وذلك فى قصة هاروت وماروت : ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

وفى الحديث المتفق عليه : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل : وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله تعالى ، والسحر ، وقتل النفس (٢) التى حرَّم الله إلا بالحق . . » فقدَّم السحر على القتل .

---

(١) البقرة : ١٠٢

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ، اللؤلؤ والمرجان (٥٦) .

وروى أحمد وأبو يعلى والطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال : « لا يدخل الجنة مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومُصدِّقٌ بالسحر » (١) .

وقد تقدَّم حديث عمران بن حصين وفيه براءة الرسول ممن سَحر أو سُحِر له ، وحديث ابن مسعود فيمن أتى عرَّافاً أو ساحراً . . .

وروى البخارى عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر .

وصح عن أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها : أنها قتلت ساحرة سحرتها .

* * *

● التنجيم ضرب من السحر والكهانة :

والتنجيم : ضرب من الكهانة أو السحر ، وهو علم يزعم أصحابه ربط حوادث الأرض بنجوم السماء ، ويدَّعون أنه سيحدث كذا فى سنة كذا ، من البلاء والغلاء ، والموت ، وقد عرف الناس كذبهم من قديم ، وقالوا فيهم : « كذب المنجمون ولو صدقوا » .

وفى الحديث اعتبار علم النجوم هذا شُعْبة من السحر .

---

(١) رواه أحمد : ٤/٣٩٩ ، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/٧٤) : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما ثقات ، وهو في الإحسان (٥٣٤٦) ، ورواه الحاكم ، وصححه ووافقه الذهبى : ٤/١٤٦ ، وفى سنده أبو حريز مختلف فيه ، وقال الحافظ فى التقريب : صدوق يخطئ ، وله شاهد عن أبى سعيد الخدرى عند أحمد : ٣/١٤ ، عن عطية العوفى - وهو ضعيف - يمكن أن يتقوى به ويحسن ، وحسَّنه الألبانى فى غاية المرام .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن اقتبس علماً من النجوم اقتبس شُعبة من السحر ، زاد ما زاد » (١) .

قال الخطابى : علم النجوم المنهى عنه : هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع وستقع فى مستقبل الزمان ، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ، ومجيء المطر ، وظهور الحر والبرد ، وتغير الأسعار ، وما كان فى معانيها من الأُمور ، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب فى مجاريها ، وباجتماعها واقترانها ، ويدّعون لها تأثيراً فى السُّفْليات ، وأنها تتصرف على أحكامها ، وتجرى على قضايا موجباتها .

وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم استأثر الله سبحانه به ، لا يعلم الغيب أحد سواه .

فأما علم النجوم الذى يُدرك من طريق المشاهدة والحس ، كالذى يُعرف به الزوال ، ويُعلم به من جهة القِبْلة ، فإنه غير داخل فيما نهى عنه .

وذلك : أن معرفة رَصْد الظل ليس شيئاً بأكثر من أن الظل ما دام متناقصاً فالشمس بعدُ صاعدةٌ نحو وسط السماء من الأُفق الشرقى ، وإذا أخذ فى الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأُفق الغربى .

وهذا علم يصح دَرْكه من جهة المشاهدة ، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلة التى يستغنى الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصده .

وأما ما يستدل به من جهة النجوم على جهة القِبْلة : فإنما هى كواكب أرصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك فى عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها ، وصدقهم فيما أخبروا به عنها ، مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة ، ويشاهدوها فى حال الغيبة عنها ، فكان إدراكهم : الدلالة عنها

---

(١) رواه أبو داود فى الطب (٣٩٠٥) ، وابن ماجه فى الأدب (٣٧٢٦) ، وأحمد فى المسند (٢٠٠٠) ، وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، وقد صحّحه النووى فى رياض الصالحين ، والذهبى فى الكبائر ، كما فى الفيض : ٦/ ٨٠

بالمعاينة ، وإدراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم ، إذ كانوا غير متهمين فى دينهم ، ولا مُقصِّرين فى معرفتهم (١) .

وبهذا نتبين أن « علم النجوم » المذموم أو « علم التنجيم » هو غير « علم الفلك » الذى نبغ فيه المسلمون من قديم ، وكان لهم فيه علماء راسخون ، والذى ارتقى فى عصرنا ارتقاءً كبيراً ، حتى استطاع الإنسان بواسطته أن يصل إلى القمر ، ويحاول غزو الكواكب الأخرى .

* * *

● علماء الإسلام مجمعون على حرب الكهانة والسحر :

لا مكان فى الإسلام إذن لمنجم ولا ساحر ولا كاهن ولا عرَّاف . وهذا بإجماع أئمة الإسلام فى سائر الأعصار ، كما ترى ذلك فى شروحهم للأحاديث التى جاءت فى ذم الكهانة والكُهَّان ، والعرافة والعرَّافين .

قال البغوى : العرَّاف : الذى يدَّعى معرفة الأُمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ، ونحو ذلك .

وقيل : هو الكاهن ، والكاهن : هو الذى يخبر عن المغيَّبات فى المستقبل . وقيل : الذى يُخبر عما فى الضمير .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن العرَّاف اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمال ونحوهم ، كالحازر الذى يدَّعى علم الغيب ، أو يدَّعى الكشف .

وقال أيضاً : والمنجِّم يدخل فى اسم العرَّاف ، وعند بعضهم هو معناه .

وقال أيضاً : والمنجِّم يدخل فى اسم الكاهن عند الخطابى وغيره من العلماء ، وحكى ذلك عن العرب ، وعند آخرين : هو من جنس الكاهن ، وأسوأ حالاً منه ، فيُلحق به من جهة المعنى .

---

(١) من معالم السنن : ٥/ ٣٧١ ، ٣٧٢ ، مع مختصر المنذرى ، وتهذيب ابن القيم للسنن .

وقال الإمام أحمد : العرافة : طَرَف من السحر ، والساحر أخبث .

وقال ابن الأثير : العرَّاف : المنجِّم ، والحازر : الذى يدَّعى علم الغيب ، وقد استأثر الله تعالى به .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : مَن اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفاً ، وعرَّافاً .

والمقصود من هذا : معرفة أنَّ مَن يدَّعى معرفة علم شيء من المغيَّبات ، فهو إما داخل فى اسم الكاهن ، وإما مشارك له فى المعنى فيُلحق به ، وذلك أن إصابة المخبِر ببعض الأُمور الغائبة فى بعض الأحيان يكون بالكشف ، ومنه ما هو من الشياطين ، ويكون بالفأل والزجر والطِّيرة والضرب بالحصى والخط فى الأرض والتنجيم والكهانة والسحر ، ونحو هذا من علوم الجاهلية ، ونعنى بالجاهلية كل مَن ليس من أتباع الرسل عليهم السلام ، كالفلاسفة والكُهَّان والمنجِّمين ، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبى ﷺ ، فإن هذه علوم لقوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل صلى الله عليهم وسلم ، وكل هذه الأُمور يسمى صاحبها كاهناً وعرَّافاً أو فى معناهما ، فمَن أتاهم فصدَّقهم بما يقولون لحقه الوعيد . وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام ، فادَّعوا بها علم الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، وادَّعوا أنهم أولياء ، وأنَّ ذلك كرامة .

ولا ريب أن مَن ادَّعى الولاية ، واستدل بإخباره ببعض المغيَّبات ، فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن ؛ إذ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن التقى : إما بدعاء ، أو أعمال صالحة لا صنع للولى فيها ، ولا قُدرة له عليها ، بخلاف مَن يدَّعى أنه ولى ويقول للناس : اعلموا أنى أعلم المغيَّبات ، فإن هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب ، وإن كانت أسباباً مُحرَّمة كاذبة فى الغالب .

ولهذا قال النبى ﷺ فى وصف الكُهَّان : «فيكذبون معها مائة كذبة » ، فبيَّن أنهم يصدقون مرة ويكذبون مائة ، وهكذا حال مَن سلك سبيل الكهان ممن يدَّعى الولاية والعلم بما فى ضمائر الناس ، مع أن نفس دعواه دليل على كذبه ؛ لأن فى دعواه الولاية تزكية النفس المنهى عنها بقوله تعالى : ﴿ **فَلا تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ (١) ، وليس هذا من شأن الأولياء ، فإن شأنهم الإزراء على نفوسهم وعيبهم لها ، وخوفهم من ربهم ، فكيف يأتون الناس ويقولون : اعرفوا أننا أولياء ، وأنا نعلم الغيب ؟ وفى ضمن ذلك طلب المنزلة فى قلوب الخلق واقتناص الدنيا بهذه الأمور .

وحسبك بحال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، وهم سادات الأولياء ، أفكان عندهم من هذه الدعاوى والشطحات شىء ؟ لا والله ، بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن ، كالصِّدِّيق رضى الله عنه ، وكان عمر رضى الله عنه يُسمَع نشيجه من وراء الصفوف يبكى فى صلاته ، وكان يمرّ بالآية فى ورده من الليل فيمرض منها ليالى يعودونه ، وكان تميم الدارى يتقلب على فراشه ولا يستطيع النوم إلا قليلاً خوفاً من النار ، ثم يقوم إلى صلاته ، ويكفيك فى صفات الأولياء ما ذكره الله تعالى فى صفاتهم فى سورة الرعد والمؤمنين والفرقان والذاريات والطور(٢)، فالمتصفون بتلك الصفات

---

(١) النجم : ٣٢

(٢) قوله تعالى فى سورة الرعد (١٩ ، ٢٠) ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ..... (الآيات إلى ٢٤) ، وقوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ ، أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (الرعد : ٢٨ - ٢٩) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ..... ﴾ (المؤمنون : ٥٧ - ٦١) ، وقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ =

هم الأولياء الأصفياء ، لا أهل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالَمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب ، بل مجرد دعواه علم الغيب كفر . فكيف يكون المدَّعي ذلك ولياً لله ؟ ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين ، ولبَّسوا بها على خفافيش القلوب . نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة [1] اهـ.

وبهذا اتفق علماء الإسلام على مطاردة الكهانة والعرافة والتنجيم والعيافة وكل فنون السحر والشعوذة والتدجيل على عباد الله ، واعتبار ذلك مما يضاد الإيمان بالله تعالى ، ويعارض الإسلام الذى يحترم سنن الله فى خلقه ، ونظام الأسباب والمسببات ، ويقدر العقل العلمى القائم على المشاهدة والتجربة فى الحسيات والماديات ، وعلى البرهان فى العقليات ، وعلى التوثيق فى النقليات . كما قال تعالى : ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [2] ، ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ [3] ، ﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [4] ، ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [5] ، وقد تكررت فى القرآن الكريم .

ونختم هذا الفصل بدعاء أبى الأنبياء خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ . (إبراهيم : ٣٨) .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ . (إبراهيم : ٤٠ ، ٤١)

* * *

= سَلاماً ﴾ (الفرقان : ٦٣ - ٧٦) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . . . ﴾ (الذاريات : ١٥ - ١٩) ، وقوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . . .﴾ (الطور : ١٧ - ٢٨) .

هذا وفى القرآن الكريم من صفات المؤمنين كثير جداً ، بل أكثر آى القرآن فى وصف الإيمان وأهله ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(١) انظر فتح المجيد ص ٢٩٨ - ٣٠٠ (٢) الأنعام : ١٤٣

(٣) الأنعام : ١٤٨ (٤) الأحقاف : ٤ (٥) البقرة : ١١١